ISSN: 1817-6798 (Print)
Journal of Tikrit University for Humanities
available online at: www.jtuh.org/

Femininity in pre-Islamic poetry: a reading of selected models

Milad Adel Jamal

Tikrit University / College of Arts / Department of Arabic Language

* *Corresponding author: E-mail* :اميل الباحث

***Keywords*:**
Femininity,
pre-Islamic poetry,
social reading,
women,
representations

A R T I C L E I N F O

Article history:

Received	3 Dec 2024
Received in revised form	22 Dec 2024
Accepted	23 Dec 2024
Final Proofreading	25 Jan 2025
Available online	26 Jan 2025

E-mail t-jtuh@tu.edu.iq

©THIS IS AN OPEN ACCESS ARTICLE UNDER THE CC BY LICENSE
http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

A B S T R A C T

This research addresses the topic of femininity in Pre-Islamic poetry through a new critical reading, aiming to analyze how women are portrayed in this ancient literature. Using the descriptive analytical approach, the rhetorical methods such as simile, metaphor, and metonymy used by pre-Islamic poets to embody femininity. The research also examines the historical and social context in which pre-Islamic poetry emerged, and how these circumstances influenced the formation of the poets' perception of women. In addition, a comparison is made between the portrayal of femininity in pre-Islamic poetry and later literary periods, to reveal the transformations that occurred in these images over the ages. The research seeks to provide new critical visions that shed light on unstudied aspects of pre-Islamic literature, and contribute to a deeper understanding of the role of women in ancient Arabic culture.

© 2024 JTUH, College of Education for Human Sciences, Tikrit University

DOI: http://doi.org/10.25130/jtuh.32.1.2025.02

Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University

الأنوثة في الشعر الجاهلي: قراءة في نماذج مختارة

ميلاد عادل جمال / جامعة تكريت / كلية الآداب / قسم اللغة العربية

الخلاصة:

تبوأت المرأة مكانة بارزة في الشعر الجاهلي ، وحازت مساحة واسعة منه، فتغنى بها الشعراء وبمكانتها وصفاتها الجسدية والمعنوية، ونظروا إليها نظرة تقديس وأنها مانحة للحياة والسبب في استمراريتها وديمومتها، فأوجدوا في الشعر تلازما بين المقدس والأنوثة التي تشير إلى مجموعة من الصفات والخصائص النفسية والاجتماعية والجسدية التي ترتبط بالمرأة والتي شكلت قيمة ذهنية تتجسد في الفضاء اللغوي والتاريخي لثقافة العصر الجاهلي، فنهض البحث وفق قراءة اجتماعية على إظهار الأنوثة المعتبرة ثقافيا وفق المعايير الدينية المقدسة في العمق اللاشعوري والتراثي للشاعر، والأنوثة السلبية أو الضعيفة التي جاءت وفق ترسيمات المؤسسة القبلية ويطرح من خلالها قضية اجتماعية أخلاقية هادفة إلى إحداث تغيير يطمح إليه النسق الفحولي من خلال لغة موازية وداعمة لتلك الهيمنة والتي تجسدت بشكل أوضح

في شعر شاعرات ذلك العصر الذي لم نجد فيه صوتا للأنوثة سوى التغني بأمجاد الفحول ورثاء فرسانهم فجسد نتاجهن الشعري الخضوع للقيود القبلية.

الكلمات المفتاحية : الأنوثة، الشعر الجاهلي، القراءة الاجتماعية ، المرأة ، التمثُّلات

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فيعد الشعر الجاهلي أحد أقدم وأغنى الأشكال الأدبية في التراث العربي، ظهر في بيئة كانت مشبّعة بالتقاليد القبلية والتنوع الثقافي. برز فيها الشعر بوصفه وسيلة أساسية للتعبير عن الأفكار والمشاعر وللحفاظ على سيادة القبيلة ، وأدى الشعراء دورًا رئيسًا في توثيق حياة العرب من خلال قصائدهم التي تناولت موضوعات متعددة ،و يعد بمثابة وثيقة أدبية وتاريخية تعكس واقع المجتمع الجاهلي، بما في ذلك القيم والعادات والأعراف التي كانت سائدة آنذاك, وأظهر تفاعلاً عميقاً مع البيئة الطبيعية والاجتماعية المحيطة بهم. والمرأة جزء من المدونة الجاهلية، وتجسدت بأشكال متعددة، إذ لم يكن لها صورة نمطية ثابتة وإنما متعددة تأسست وفق ثقافية ذلك العصر ومرتكزاتها المعرفية التي صنعت أنساقها الخاصة. ودراسة الأنوثة في الشعر الجاهلي تُعد موضوعاً ذا أهمية بالغة لأسباب عدة تتعلق بفهم أعمق لدور المرأة ومكانتها في المجتمع الجاهلي، وأيضاً لكيفية تجسيد الشعراء لهذا الدور فالمرأة في الشعر الجاهلي لم تكن مجرد موضوع عابر؛ بل كانت رمزاً لكثير من القيم التي يعظمها المجتمع الجاهلي، مثل الجمال، والشرف، والشجاعة والحياة والخصوبة، والذي يعكس النظرة الاجتماعية والثقافية للمرأة في تلك الحقبة، وكيفية تأثير القيم القبلية والدينية في هذا التجسيد.

وانتظم البحث على بيان فاعلية المرأة في المجتمع الجاهلي من خلال التطرق الى الأدوار المتعددة التي قامت بها فوقف البحث على الدور الأسري والدور الاقتصادي والدور الاجتماعي والدور السياسي والدور الأدبي والثقافي ومن ثم الديني،

وتشكّلت هيكلية البحث من النقاط الآتية :

فرضية الدراسة وأسئلتها المطروحة .

أهمية الدراسة .

محددات الدراسة .

التعريف بالمصطلحات الواردة في الدراسة .

المنهج المتّبع في الدراسة .

النقاش والتحليل : الذي يشتمل على ما يأتي :

توطئة : فاعلية المرأة في المجتمع الجاهلي.

المطلب الأول: الأنوثة مقاربة معرفية:

أولا : الأنوثة ضبط مصطحي .

ثانيًا : دور المرأة في المجتمع الجاهلي.

المطلب الثاني: تمثلات الأنوثة في الشعر الجاهلي.

الخاتمة والمقترحات.

المصادر والمراجع

فرضية الدراسة وأسئلتها المطروحة :

وقام البحث على فرضيتين:

١- الفرضية الأولى : تشير إلى أن هناك تنوعاً ملحوظاً في كيفية تجسيد الأنوثة في الشعر الجاهلي، وهو تنوع يعتمد على الشاعر والسياق الذي كُتبت فيه القصيدة. هذا يعني أن الشعراء لم يتبعوا نمطاً موحداً في تجسيد المرأة، بل كانت هناك اختلافات تعتمد على شخصية الشاعر، ورصيده المعرفي والثقافي، والظروف الاجتماعية التي كان يعيشها.

٢- الفرضية الثانية: تفترض أن تجسيد الأنوثة في الشعر الجاهلي يعكس بوضوح المواقف الاجتماعية والثقافية تجاه المرأة في ذلك الوقت. أي أن النصوص الشعرية لم تكن مجرد تعبيرات فردية، بل كانت أيضاً تعبيراً عن نظرة المجتمع الجاهلي للمرأة، بما في ذلك أدوارها، ومكانتها، والقيم المرتبطة بها.

وحاول البحث الإجابة عن بعض التساؤلات، منها:

١- كيف تم تمثيل الأنوثة في الشعر الجاهلي؟

٢- ما الأنساق المختلفة التي حددت الأنوثة في الشعر الجاهلي؟

٣- هل تمكنت المرأة الشاعرة من التحرر من القيود الاجتماعية والتعبير عن أنوثتها ومشاعرها؟

وغيرها من التساؤلات التي حاول البحث الإجابة عنها وهو يستنطق نماذجا مختارة من المدونة الجاهلية. ولابد من الإشارة انه لا توجد دراسة سابقة عن موضوع الأنوثة في الشعر الجاهلي سوى دراسات قامت على دراسة المرأة بشكل عام. منها المرأة في الشعر الجاهلي لأحمد محمد الحوفي.

أهمية الدراسة :

لا شكّ أنَّ أية دراسة تتعلّق بالأدب الجاهلي لها أهمية كبرى في العلوم الإنسانية ؛ إذ إنَّها تسلّط الضوء على تاريخ العرب وتراثهم ، ودراسة تاريخ أي قوم وتراثهم كفيل بمعرفة الحاضر والتخطيط للمستقبل ، ومن الأمور المهمة في هذه البحوث كذلك تسليط الضوء على الجانب الاجتماعي الأنثروبولوجي ، ما يمكننا من معرفة مراحل التطور الثقافية والحضارية للعرب في مفهوم الأنوثة عن طريق نماذج مختارة من أشعار الجاهليين ، إذ إنّ الشعر ديوان العرب ، وسجل تاريخهم وحضارتهم .

محددات الدراسة :

يتحدّد بحثنا بمحدد الزمان والمكان ، وهذا منطقي ، إذ نتناول مفهوما ثقافيا واجتماعيا في عصر محدّد ،

وهو العصر الجاهلي ، وجعلناه أكثر تحديدا باختيار نماذج منه ، ولم يكن الاختيار اعتباطيا ، بل كان معيار الاختيار وفق قراءة اجتماعية على إظهار الأنوثة المعتبرة ثقافيا وفق المعايير الدينية المقدسة في العمق اللاشعوري والتراثي للشاعر، والأنوثة السلبية أو الضعيفة التي جاءت وفق ترسيمات المؤسسة القبلية .

التعريف بالمصطلحات الواردة في الدراسة :

الأنوثة : تمّ التعريف به في النقطة أولا من المطلب الأول .

المرأة : مَرْأَةُ: أُنْثَى الـمَرْءِ، وهو: الإنسانُ الذَّكَرُ، وتُطْلَقُ على البالِغَةِ مِن النِّساءِ، وقد تُلْحَقُ بها الـهَمْزَةُ، فَيُقالُ: امْرَأَةٌ. وتأْتي بِمعنى الزَّوْجَةِ، كَقَوْلِك: هذهِ امْرَأَةُ فُلانٍ، أيْ: زَوْجَتُهُ، كما تُطلَقُ على البِنْتِ، والأُمِّ. هي أنثى الإنسان البالغة.(بكور،٢٠١٢م،٥٥٦) فهي تختلف عن الرجل جسدا وشكلا .

الشعر الجاهلي : هو الشعر الذي قاله العرب قبل الإسلام بما يُقارب مِئة وخمسين عاما ، وكانت صوره وأخيلته مرآة عاكسة لمظاهر الحياة العربية وتقاليدهم ومُثُلهم، فيه من القيم الفنية و الصور الجميلة الرائعة و المعاني الدقيقة الموحية مايجعله بحق ذروة الشعر العربي، لما فيه من أصالة وجمال في التعبير ودقة المعاني ونضج فني ولغوي وموسيقي كبير. (الجبوري،١٩٨٦م،١٢٨)

التمثلات : جمع تمثُّل ، والتمثُّل (مثّل الشيء بالشيء) : سوّاه وشبّهه له وجعله على مثاله ، فالتمثيل هو التصوير والتشبيه ، والفرق بينه وبين التشبيه أنّ كلّ تمثيل تشبيه ، وليس كلّ تشبيه تمثيلا ، وتمثيل الشيء تصوّر مثاله ، ومنه التمثّل (صليبا ، ١٩٨٢م ، ٣٤١/١) وهي صورة الشيء أو العلامات التي تدل عليه .

المنهج المتّبع في الدراسة :

أما المنهج الذي قام عليه البحث في دراسة النصوص فهو المنهج الاجتماعي فالنص الشعري له علاقة بالأنظمة الاجتماعية التي تحكم المجتمع ولا يمكن عزله عنها إذ تأثرت صورة الانوثة بالمعتقدات الدينية والمثيولوجية التي كانت سائدة في المجتمع الجاهلي فضلا عن التقاليد والقيود القبلية والاجتماعية التي كانت تسوّر شكل الأنوثة ، وذلك من خلال تحليل نماذج مختارة من الشعر الجاهلي تظهر تمثلات الأنوثة في الشعر الجاهلي من خلال إظهار الأنوثة المعتبرة ثقافيا وفق المعايير الدينية المقدسة في العمق اللاشعوري والتراثي للشاعر، والأنوثة السلبية أو الضعيفة التي جاءت وفق ترسيمات المؤسسة القبلية

وتوصل البحث الى نتائج عدة، منها : تجسدت الأنوثة في الشعر الجاهلي من خلال الصفات النفسية والاجتماعية والجسدية التي ترتبط بشكل تقليدي بالمرأة، وتضم تلك السمات التي تعدها الثقافة أو المجتمع جزءاً من الهوية الأنثوية. أن المعتقدات الدينية والميثولوجية السائدة في الجاهلية كان لها تأثير كبير في تجسيد الأنوثة ، أظهر البحث وجود ازدواجية في تجسيد الأنوثة في الشعر الجاهلي. وغيرها من النتائج.

النقاش والتحليل :

توطئة : فاعلية المرأة في المجتمع الجاهلي:

تُعَدّ دراسة وضع المرأة في المجتمع الجاهلي من الموضوعات المهمة التي تسلط الضوء على البنية الاجتماعية والثقافية للعرب قبل الإسلام. على الرغم من أن الكثير من المعلومات حول هذه الحقبة تأتي من مصادر شفهية ودينية، إلا أن الشعر الجاهلي يقدم نافذة فريدة لرؤية وتفهم دور المرأة في المجتمع الجاهلي وكانت المرأة في الجاهلية تؤدي دورًا محوريًا في الحياة اليومية والاجتماعية، إذ شاركت في مختلف الأنشطة الاجتماعية والاقتصادية. في الوقت نفسه، كانت هناك مواقف متباينة تجاه المرأة تراوح بين التقدير والاحترام وفي بعض الحالات إلى التقليل من شأنها أو تهميشها, والشعر الجاهلي، بصفته مرآة للحياة الاجتماعية في تلك الفترة، يعكس هذه المواقف المتنوعة والمتناقضة في كثير من الأحيان تجاه المرأة. نجد في القصائد إشادات بجمال المرأة وفضلها وحنكتها، وفي الوقت نفسه، تعبيرات عن القيم القبلية التي قيدت حريتها وأدوارها.

من خلال استعراض دور المرأة والمواقف الاجتماعية والثقافية تجاهها في المجتمع الجاهلي، نسعى إلى تقديم قراءة نقدية شاملة تعكس تنوع هذه الأدوار والمواقف. سنبدأ أولاً بفهم الأدوار المختلفة التي أدتها المرأة في الحياة اليومية والاقتصادية والاجتماعية، وكيفية تفاعل الثقافة الجاهلية معها.

المطلب الأول: الأنوثة مقاربة معرفية :

أولا : الأنوثة ضبط مصطحي :

نظرًا لأهمية هذا المصطلح في هذه الدراسة رأيتُ أنْ أفرد له نقطة توضح المقاربة المعرفية له وتضبطه اصطلاحيا ، فقبل الولوج إلى عالم (الأنوثة) يجدر بنا تعيين معناها ليتسنى لنا سبر أغواره في النص الجاهلي ، إذ تدل **الأنوثة** في أصلها اللغوي على معانٍ متنوعة منها ما جاء في لسان العرب : الأنثى خلاف الذكر من كل شيء ، والجمع إناث وأنث وفي التنزيل العزيز((إن يدعون إلا إناثا)) هي مصدر الفعل أنِثَ، وهو فعل ثلاثي جذرُه (أ.ن.ث)، يُشير إلى حالة أو صفات تتعلق بالأنثى. (ابن منظور،د.ت،١٦٨) والأنوثة الصفات التي تتميز بها المرأة (هذه امرأة تنقصها الأنوثة)(مجموعة مؤلفين المنجد، ٢٠٠١م، ٤٦) في اللغة العربية، تعني الأنوثة الصفات الطبيعية والخصائص التي تُميز المرأة أو الأنثى، سواء من الناحية الجسدية أو النفسية. ويُقال أنِثَت المرأة إذا صارت أنثى بالغة وتحققت فيها صفات الأنوثة.

والأنوثة اصطلاحًا: لم يتفق النقاد والدارسون في تحديد مفهوم الانوثة اصطلاحا، إذ يعرفها الغذامي بـأنها مجموعة صفات و حالات إذ تمثلها الجسد النسوي فهو مؤنث ،وإلا فهو خارج الأنوثة ، ومن هنا يكون التأنيث مفهوما ثقافيا و تصورا ذهنيا و ليس قيمة طبيعية جوهرية مفهوم مكتسب أو ممنوح من المعطى الثقافي وبما أنه مكتسب اي أنها قابلة للتحول والزوال (الغذامي، ٢٠٠٦م،٥٧). وانها مجموعة من القواعد التي تحكم سلوك المرأة ومظهرها وغاية القصد منها جعل المرأة تتمثل لتصورات الرجل عند الجاذبية الجنسية المثالية(جامبل، الشامي ،د.ت،٣٣٧) ونجدها حالة ثقافية تضافرت عوامل عدة في مراحل تاريخية لإخراجها من طبيعتها البيولوجية المعروفة ، وحشرها في طبيعتها الثقافية العلوية أو الدونية(بن بوزة، ٢٠٠٨م، ٢٩). فالأنوثة تشير إلى مجموعة من الصفات والخصائص النفسية

والاجتماعية والجسدية التي ترتبط بشكل تقليدي بالمرأة، وتضم تلك السمات التي تعدها الثقافة أو المجتمع جزءاً من الهوية الأنثوية. هذه الصفات يمكن أن تتضمن الرقة، والنعومة، والعطف، والقدرة على التعبير عن العواطف وغيرها من الفضائل ، فضلا عن الخصائص الجمالية مثل الجمال الخارجي والمظهر الأنثوي.

و الأنوثة مفهوم حضاري وتركيب ثقافي لا تقتصر فقط على الجوانب البيولوجية، بل تتداخل مع الأدوار الاجتماعية والوظائف الثقافية التي تُمنح أو تُفترض للمرأة في المجتمع. هذه الصفات تُعزز وتُشكل من خلال الثقافة والتقاليد والعادات الاجتماعية التي تحدد ما يُعد أنثوياً ضمن سياق ثقافي معين.. وبمرور الوقت تغيرت مفاهيم الأنوثة وتطورت مع التغيرات الاجتماعية والثقافية، وأصبحت مرتبطة أيضاً بالحديث عن حقوق المرأة، والتعبير الذاتي، والتنوع في أدوار المرأة في المجتمع الحديث.

ثانيًا : دور المرأة في المجتمع الجاهلي:

المرأة في المجتمع الجاهلي أدت أدواراً متعددة ومهمة، وكانت جزءاً لا يتجزأ من الحياة اليومية للعرب قبل الإسلام. على الرغم من أن الحقبة الجاهلية اتسمت ببعض التقاليد الاجتماعية التي قد تبدو قاسية أو غير عادلة من منظورنا الحالي، إلا أن النساء كنّ يتمتعن بمكانة رفيعة في جوانب معينة من المجتمع. وفيما يلي اهم الادوار للمرأة في المجتمع الجاهلي: (معبدي،١٩٨٦م، ٧٣).

١. **الدور الأسري:** المرأة كانت عماد الأسرة في المجتمع الجاهلي، إذ كانت مسؤولة عن رعاية الأطفال وتربيتهم، فضلا عن إدارة شؤون المنزل، وتوفير الاحتياجات الأساسية للأسرة وكانت المرأة مربية ومعلمة للأطفال، إذ أدت دوراً حيوياً في الحفاظ على النسيج الاجتماعي للقبيلة، وكانت الأمومة تُقدّر بشكل كبير ،ويُنظر إلى المرأة على أنها الحافظة لتقاليد القبيلة تنقل إليهم قيمها وأعرافها.

٢. **الدور الاقتصادي:** على الرغم من محدودية الفرص الاقتصادية المتاحة للمرأة في الجاهلية، إلا أن هناك أدلة تشير إلى مشاركة النساء في بعض الأنشطة الاقتصادية. إذ كانت تشارك في الأعمال الزراعية والرعوية، لاسيما في الأسر البدوية. كما كانت النساء تسهم في الحرف اليدوية مثل الغزل والنسيج وصناعة الأدوات المنزلية، والتي كانت تُستخدم محلياً أو تُباع في الأسواق. وهناك نساء برعن في التجارة منهن السيدة خديجة بنت خويلد(رضي الله عنها) وسلمى بنت عمرو بن زيد زوجة هاشم بن عبد مناف، وبالتالي هي

الجدة العظمى لرسول الله (صلى الله عليه وسلم)، كانت أشهر امرأة برزت في ميدان التجارة بالحجاز، وأسماء بنت مخربة أم أبي جهل، كانت من اللواتي مارسن التجارة في مكة ، إذ اشتهرت بتجارة العطور اليمنية. (اليعقوبي،٢٠١٠م،١١٨/٢)،وهذا يدل على تمكن المرأة من صنع هويتها المستقلة على الرغم من القيود المجتمعية.

٣. **الدور الاجتماعي:** أدت المرأة دوراً اجتماعياً مهماً في المجتمع الجاهلي، إذ كانت تشارك في المناسبات الاجتماعية والاحتفالات القبلية. كانت المرأة تحظى باحترام كبير في بعض القبائل، لاسيما إذا كانت من أسرة نبيلة أو ذات مكانة. كما كانت النساء يشاركن في شعر المراثي والفخر، مما يعكس

دورهن في التعبير عن مشاعر المجتمع ووجهات نظره. ومن القضايا الاجتماعية التي تخص المرأة الزواج والطلاق إذ كانت عقود الزواج في الجاهلية تتسم بمرونة نسبية، إلا أنها كانت تُعقد غالباً بترتيبات قبلية وسياسية، تهدف إلى تعزيز الروابط بين القبائل. كان الزواج يُستخدم كوسيلة لتحقيق السلام والتحالفات القبلية أي الزواج السياسي وكانت النساء في كثير من الأحيان يتزوجن وفقاً لإرادة أولياء أمورهن. ومع ذلك، كانت هناك نساء يتمتعن بنوع من الاستقلالية والقدرة على اختيار أزواجهن وفي بعض الاحيان تزوج نفسها بنفسها، وكان للأم رأي في تزويج ابنتها . أما الطلاق، فكان حقاً مكفولاً للرجل بشكل أكبر من المرأة، وكانت بعض التقاليد تقيّد حقوق المرأة في طلب الطلاق . وثمة قياسات اجتماعية سلبية تجاه المرأة إذ كانت بعض القبائل تمارس عادة وأد البنات، خوفاً من العار أو الفقر، وهو تقليد قاسٍ يعكس تفضيل الذكور في بعض أجزاء المجتمع الجاهلي. هذه العادة تُظهر مدى التمييز القاسي الذي يمكن أن تتعرض له المرأة ولاسيما في البيئات القبلية المتشددة. (عطوان، ١٩٩٣م، ٥٨).

٤. **الدور السياسي والدبلوماسي:** في بعض الحالات، كانت المرأة تشارك في الشؤون السياسية والدبلوماسية للقبيلة. كانت النساء من الأسر النبيلة يؤدين دور الوسيط في حل النزاعات بين القبائل، ويستخدمن نفوذهن لتحقيق السلام والاستقرار. كذلك، كان لبعض النساء تأثير كبير على قرارات القبيلة بفضل حكمتهن ومكانتهن الاجتماعية. (ضيف، ١٩٦٠م،٤١). إن زعامة النساء للقبائل العربية قبل الإسلام نادرة، لكن ثمة شواهد تاريخية تبرهن على دور خفي مسكوت عنه. ثمة امرأتان، "رقاش الطائي" و"سجاح بنت الحارث التميمية". الأولى أوردت الأخبار أنها كانت ذات حزم ورأي ونفوذ، وكانت تغزو بقومها، وأغارت بهم على إياد بن نزار بن معد وظفرت بهم وغنمت وسبت. والثانية، لم تقد قبيلة واحدة وإنما تحالفاً قبلياً لتقف في وجه الإسلام في حروب الردَّة.(الكحالة،١٩٤٠م،٣٨٣/١). وفي الحرب، ثمة وجه آخر لأنثى الصحراء، وجه دموي في بعض جوانبه، إلاّ أنه مؤثر وديناميي. شاركت نساء الجاهلية في غزو القبائل، وعلى مشارف الإسلام شكلت "هند بنت عتبة" "المثال الأنموذجي للمرأة الدينامية" كما تفضل وصفها عالِمة الاجتماع المغربية فاطمة المرنيسي (المرنيسي،عباس،١٩٩٣م،١٤٢) .

٥. **الدور الأدبي والثقافي:** المرأة الجاهلية كانت تؤدي دوراً بارزاً في المشهد الثقافي والأدبي، إذ نجد عددا من النساء الشاعرات اللواتي تركن بصمات واضحة في النتاج الجاهلي. إذ كانت النساء يشاركن في المسابقات الشعرية والأدبية، ويعبّرن عن مشاعرهن وتجاربهن من خلال القصائد. بعض النساء كنّ يلهمن الشعراء الرجال، وكانت مكانتهن تُخلّد في الأشعار والأدب منهن، الخنساء: واحدة من أشهر الشاعرات في الجاهلية، عُرفت بقصائدها في الرثاء التي عبرت فيها عن حزنها العميق لفقدان أخويها صخر ومعاوية. و صفيّة بنت ثعلبة الشيبانية وجليلة بنت مرّة ودختنوس ابنة لقيط بن فزارة ،وغيرهن(يموت، ١٩٣٤م،١٣_٣٠) بذلك تكون لها كفاءة الظهور في الميادين وتميزت أشعارهن بالجودة والمتانة كأشعار الفحول من الرجال.

٦. **الدور الديني:** على الرغم من أن النظام الديني في الجاهلية كان متنوعاً ويعتمد على عبادة الأصنام والآلهة المتعددة، إلا أن المرأة كانت لها دوراً في الطقوس الدينية والممارسات الروحانية. كانت تشارك في

الاحتفالات الدينية وتقديم القرابين، وأحياناً كانت تقوم بدور الكاهنة أو العرافة منهن زبراء كاهنة بني رئام. وكذلك أم زرع شخصية عُرفت بقصتها التي ترويها في الحديث النبوي، من اللواتي وصفن أزواجهن في الجاهلية و تعكس حياة المرأة في ذلك العصر (ضيف، ١٩٦٠م، ١٣٤).

٧. **التحديات والقيود:** على الرغم من الأدوار المتعددة التي أدتها المرأة في المجتمع الجاهلي، إلا أنها كانت تواجه العديد من التحديات والقيود. كانت التقاليد القبلية تفرض قيوداً على حرية المرأة وحركتها، وكانت بعض العادات مثل وأد البنات تعكس القسوة التي يمكن أن تُمارس ضد النساء. كما كانت حقوق المرأة محدودة في مسائل الزواج والطلاق والميراث، إذ كانت تخضع لسلطة الرجل في معظم الأحيان. (ضيف، ١٩٦٠م، ١١٢).

وهذا يُظهر الدور المتعدد والمتنوع الذي أدته المرأة في المجتمع الجاهلي مدى أهميتها وتأثيرها في الحياة القبلية. إذ كانت المرأة جزءاً لا يتجزأ من النسيج الاجتماعي والاقتصادي والثقافي، على الرغم من التحديات والقيود التي فرضتها التقاليد القبلية. إن فهم دور المرأة في هذه الحقبة يساعد على تقدير التغيرات والتحولات التي طرأت على مكانتها في المجتمع بعد ظهور الإسلام. (الحوفي، ١٩٣٣م،١٥٧)، فالمجتمع الجاهلي كان يتسم بتنوع وتباين في المواقف الاجتماعية والثقافية تجاه المرأة، إذ كانت هذه المواقف تتأثر بالعوامل القبلية والدينية والاقتصادية التي حكمت حياة العرب في ذلك الزمن. على الرغم من أن بعض العادات الجاهلية قد تبدو قاسية أو تمييزية من منظورنا الحديث، إلا أن فهم السياق الذي نشأت فيه هذه المواقف يساعد في تقديم صورة أكثر توازناً عن وضع المرأة في ذلك الوقت.

إن المواقف الاجتماعية والثقافية تجاه المرأة في المجتمع الجاهلي كانت معقدة ومتعددة الأوجه، إذ تداخلت الجوانب الإيجابية مع السلبية. وعلى الرغم من القيود والتحديات التي واجهتها المرأة، إلا أنها كانت جزءاً لا يتجزأ من المجتمع، تؤدي أدواراً حيوية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والدينية. وأن فهم هذه المواقف يساعد على تقدير التحولات الكبيرة التي طرأت على وضع المرأة في المجتمع العربي مع مرور الزمن.

المطلب الثاني: تمثلات الأنوثة في الشعر الجاهلي:

الشعر الجاهلي من أرقى صور التعبير الأدبي التي حفظت لنا ملامح الحياة الاجتماعية والثقافية في ذلك العصر، وكان للمرأة دورٌ بارز فيه، ليس فقط بكونها موضوع للتغني والتأمل، بل لأنها مصدر إلهام للشعراء الذين عبّروا عن مشاعرهم تجاهها بتنوع وثراء. وتجسيد الأنوثة في الشعر الجاهلي يتجاوز مجرد الوصف المادي ليشمل أبعاداً رمزية وعاطفية تعكس نظرة المجتمع الجاهلي إلى المرأة ومكانتها, والمرأة في هذا الشعر كانت تُصور بجمالها الفاتن، ورقتها العذبة، وقوتها الداخلية، وأحياناً بأسلوبٍ فيه من المثالية ما يعكس توقاً إلى الكمال في الحب والرغبة. هذه الصور لم تكن محض زخرف بلاغي، بل كانت تجسيداً لحقيقة العلاقة التي ربطت الشاعر الجاهلي بالمرأة، سواءً كانت حبيبة أم أختاً، أو حتى رمزاً للأمّة والقبيلة.

يُعد تجسيد الأنوثة في هذا الشعر جزءًا جوهريًا من الشعر الجاهلي . فالمرأة في الشعر الجاهلي كانت

حاضرة بقوة، إذ عبر الشعراء من خلال قصائدهم عن مشاعرهم تجاهها باستخدام أساليب بلاغية وصور شعرية معبرة. فتغنى بها الشعراء و بمكانتها وصفاتها الجسدية والمعنوية ، ونظروا لها نظرة تقديس وانها مانحة للحياة والسبب في استمرارها وديمومتها وكانت للظروف البيئية القاسية أثر في تمكين المرأة وتبوؤها مكانة مميزة في المجتمع، لذلك اعتز العربي بكلّ شيء يبعث الحياة ويمدّ في ديمومتها وإستمرارها ومن بين هذا ،المرأة الولود التي تمدّه بالأولاد القادرين على إعانته على تجاوز قسوة الحياة ومصاعبها(شمسي، ٢٠٠٨م،٢٨) فالأنوثة هنا مرتبطة بالاستقرار والأمان والديمومة، وهذه النظرة للمرأة وتقديسها امتداد لمعتقدات قديمة أوكلت المرأة مهمة استمرار الحياة والنماء والخصوبة ،إذ ربطوا بين سر الخصوبة في المرأة وسر الخصوبة في الأرض، فعُبدت الأرض بوصفها أما ورمزوا لها في طقوسهم وشعائرهم ،فاتصل معنى الأمومة بمعنى المعبود في حالة الآلهة الأم/الأرض والآلهة الأم المرأة(الحسين،٢٠٠٩م،١١٣)، ويتجلى ذلك في حرص الشعراء على الرمز للمرأة بالمخلوقات المُقدّسة المعبودة قديماً منها ، الشمس والغزالة ، والمهاة والنخلة(عبد الرحمن، ٢٠٠٠م، ١٢٩) فالأنوثة جمعت صفات القداسة والجمال والحب ، والآلهة الرحيمة التي تعطف على الأمومة الولود (ديورانت، محمود،د.ت،٢/٢١٥)، فمعالم الأنوثة في الشعر تجسدت في صورة المرأة الممتلئة الجسم، إذ قالوا قديما ان حُليّ النساء الشحم (الدينوري، ١٩٨٦م،٢/١٥٧) وهذه الأنوثة تتلاءم مع الدور الوظيفي النفعي لها وهي الخصوبة والولادة، وهي من تمثلات اللاوعي الجمعي للمجتمع ، من ذلك قول الأعشى:(حسين، ١٩٥٠م، ٣٦١)

أيام تجلو لـــــنا عن باردٍ رتلٍ ... تَخـــــالُ نَكهَتَـــها بِاللَيـــلِ سُيّـــابـــا

وَجيدِ مُغزِلَةٍ تَقرو نَواجِذُهـــــا ... مِـن يانِعِ المَردِ ما اِحلَولى وَما طـابـا

وَعَينِ وَحشِيَّةٍ أَغفَـــت فَأَرَّقَهـــا ... صـــوتُ الذئابِ فأَوْفتْ نحـــــوه دابـــا

هِرْكَولةٌ مثلُ دِعصِ الرملِ أسفلُها ... مَكسُوَّةٌ مِن جَمالِ الحُسنِ جِلـــبابـــــا

تميلُ جَثلا على المتنينِ ذا خُصلٍ ... يحبـــــو مَواشِطَهُ مســـكا وتَـطيابـــــا

رُعـــــبوبـــةٌ فُنُقٌ خُمصـانـةٌ رَدَحٌ ... قـد أشـــربت مثلَ ماءِ الدُّرّ إشرابـــــا

إذ نجد الأعشى في النص يولي اهتمامه على تصوير الأعضاء الأنثوية للمرأة ،صورة تضافر فيها الشم والحركة والصوت ، صورة مكتنزة بالعناصر البصرية ، من ثغرها وعينها وجيد كجيد الغزالة وجسم مديد ممتلئ كساه الحسن ، كأن أسفله كثيب من الرمال وشعر غزير وجسد بضُّ ناعم دقيق الخصر ثقيل الوركين يترقرق بالشباب، صورة تحاكي المرأة المثال التي يضج جسدها بالخصوبة المؤدية للأمومة التي هي وظيفة الربة/الأم التي تهب الحياة وتمنح القبيلة الوجود والاستمرار. وحركة الضم التي لها حضور في النص جاءت بإيقاع مموسق يحاكي امتلاء المرأة وثقل حركتها وكذلك تلائم صورة كثيب الرمل المتراكب فأخذ الصوت دوره في التشكيل الفني تشكيل يضمُ عناصر الجمال و الفتنة و السحر والأنوثة، فالشاعر شكل من عالم الطبيعة صورة للأنوثة إذ يذيب ويحطم ويُلاشي الحدود بين الأشياء ليخلق عالما فنيا جديدا بدلالات جديدة. واتصال المرأة بالرموز المقدسة نجده عند أغلب الشعراء الجاهليين منهم(امرؤ القيس وطرفة بن العبد و بشر بن أبي خازم وغيرهم). و مما يقوله امرؤ القيس في وصف معشوقته: (

ابراهيم ،١٩٦٩م،٣١)

وَهِرٌّ تَصيدُ قُلوبَ الرِجـالِ وَأَفلَتَ مِنها اِبنُ عَمروٍ حُجُر
رَمَتني بِسَهمٍ أَصابَ الفُؤاد غَداةَ الرَحـيلِ فَلَم أَنـــتَصِرَ
وَإِذ هِيَ تَمشي كَمَشيِ النَزيفِ يَصرَعُـــهُ بِالكَثيـــبِ البُهـــرُ
بَرَهرَهَـةٌ ، رَودَةٌ ، رَخصَـــةٌ كَـخُـــرعوبَةِ البانَةِ المُنفَطِـــر
فُتورُ القِيامِ، قَطيعُ الكَلامِ تَفتُرُ عَن ذي غُروبٍ خَصِر
كَأَنَّ المُدامَ ، وَصَوبَ الغُمامِ وَريحُ الخُزامى، وَنَشرُ القُطُر

يترآى لنا من الأبيات أن المرأة هنا امرأة غانية ربة فاتنة الجمال أنوثتها تبدأ من مشيها المغناج الذي يشبه مشي شارب خمر سكران ثقيل الخطوات، صورة توحي انها امرأة ممتلئة الجسد فيها نعيم الجمال والخصوبة والنضارة الغضّة. وجسد التقسيم الصوتي والمقطعي في البيت الرابع والخامس هيكلية الأنثى الممتلئة والذي جاء أشبه بالموسيقى التصويرية الذي صوّر حركة الشعور والايقاع النفسي للانفعال الشعري وبالإمكان أن نسميه الموسيقى التعبيرية الذي عكس في أذن المتلقي حركات الترنح والتمايل التي تعكس الأنوثة ، وهذا التراكم للتكرار الصوتي يؤاخي تضخيم مقومات الأنوثة التي تتوافق مع الجرس الصوتي للحروف(برهرهة، خُرعوبة) الذي تلائم ارتجاج الجسد وثقل الخطوات. وصورة هذه المرأة تتراكب طوليا أو عموديا ،حين يتحدث عن فمها الذي ينظم اللؤلؤ ونشر ريح الخزامى ممزوجا بالبخور، وهنا الشاعر يقدم الخمر والماء فيُحيي من خلاله طقسا شعائريا تترامى فيه ظلال المحافل المقدّسة في الأسحار(الحسين،٢٠٠٩م،١٢٣) فقدم للأنوثة صورة تشارك في بنائها الحركة والسمع والشم ،فجاءت صورة أناقة وزخرف ومبالغة، وتهويل، والنغم والوزن والتطرق والرنين، من عناصرها الرئيسة وصفاتها الأصيلة(الجندي،١٩٦٩م، ٢١) فتوالي الحروف وتناغم الأصوات واتساقها جسدت شكل الأنوثة.

و جسد طرفة بن العبد الأنوثة بالشمس والضوء، فالشمس أيضا كانت رمزا للآلهة في الديانات الوثنية القديمة والشمس أيضا أداة القوة الآلهية ضد الشر والأعداء وهذه الصورة أيضا لها علاقة بالأمومة التي تقوم بدور الحماية : (الجندي ، د.ت ، ٣٣)

ووجهٌ كأنَّ الشمسَ حلَّت رِداءها عليه نقيَّ اللونِ لمْ يَتخدّدِ

فالأنوثة هنا تمثلت بالإشراق والصفاء والنقاء وعلو المكانة والرفعة

هذه الأبيات تعبر عن الجمال المثالي الذي يربطه الشاعر بالمرأة، إذ يشبهها بالشمس في إشراقها. وهذه التشبيهات يعكس تقديرًا للجمال الأنثوي، المرأة هنا هي مثال للكمال، وهو تجسيد يشير إلى مكانة المرأة العالية في المجتمع، لاسيما إذا كانت من طبقة اجتماعية مرموقة.

وحضور الأنوثة في الشعر الجاهلي شكّل نظاما تشفيريًا رمزيا منح الشعراء القدرة على الإبداع، فلم يترك الشعراء شيئاً يتعلّق بالأنوثة إلاّ وتعرّضوا له ، فتناولوا صفاتها الجسدية ، و النفسية ، و الأخلاقية والعاطفية، مع طُغيان الصفات الجسدية على الصفات الأُخرى . أمّا فيما يخصّ الجانب الأخلاقي فقد إعتادوا على وصفها بالخجل والحياء والتودّد إلى الآخرين في أحاديثٍ طيبةٍ عذبة .

(الجبوري،١٩٩٣م،١٦٥-١٦٩) . فلجأ إلى إسباغ كافّة الوان الجمال عليها من خلال الرسم المُماثل من جمال أُنوثي وما استطاع أن يراه في بيئته ،بل أجمل ما يكون في بيئته(البرادعي،٢٠٠٥م،٢/٨٩٥) ، فنجد عنترة يقول: (الخوري، ١٨٩٣م ، ٥٥)

إذ تَسْتَبيكَ بذي غُروبٍ واضحٍ عَـذْبٍ مُقَبَّلَــهُ لذيذِ المَطْعَمِ

وكأنّما نَظَـرَتْ بعَينَي شادِنٍ رَشَـأٍ مِنَ الغِـزلان ليس بِتَوأَمِ

ومثله قول عامر بن الطفيل : (الجادر،٢٠٠١م ، ٦٥)

ليالي تَسْتَبِيكَ بِذِي غُروبٍ ومُقْلَــةِ جـُؤْذَرٍ يَرْعى بَشَامَـا

فعنترة وعامر من الشعراء الفرسان والأنوثة في أشعارهم تجسدت بما تُمليه عليه أخلاق الفرسان التي تسمو عن كُلّ ما هو مُبتذل وفاحش في نظر المجتمع ، ولكون المرأة مصدر قوّة الفارس و شريكته في بطولاته وباعثاً من بواعث فروسيته فلا يجدر به وصفها إلاّ بكلّ ما هو مقدّس ، فتارة يصفها بالشمس وأُخرى بالغزالة ، وثالثة بالمهاة ، ويوظف في تجسيد الأنوثة أدوات الحرب كالسيف، وكذلك تتمظهر بصفاتها المعنوية والخُلُقية ، فوصفوها بالحياء والخجل والاحتفاظ بالسر وحسن المعشر، إذ يقول عنترة : (الخوري، ١٨٩٣م، ٢٣)

وقال لها البدرُ المُنير : ألا أسفري فإنّكِ مِثْلي في الكَمَالِ وفي السَعْدِ

فَوَلَّـدَتْ حيـاءً ثُمّ أرْخَــتْ لثامَها وقـد نَثَرَتْ من خَــدِّها رطبَ الوَرْدِ

وسلّت حساما من سواجي جفونها كسيف أبيها القاطع المرهف الحدّ

كذلك قول النابغة الذبياني: (ابراهيم، د.ت،٢٠٢)

بَيضاءُ كَالشَمسِ وافَت يَومَ أَسعَدِها لَم تُؤذِ أَهلاً وَلَم تُفحِش عَلى جارِ

والأعشى يقول: (حسين،١٩٥٠م،٥٥)

ليسَتْ كمَنْ يكرَهُ الجيرَانُ طلْعتها ولا تراها لِسِرّ الجارِ تَخْتتِلُ

فتتضافر الجمال الحسي والمعنوي في تجسيد الأنوثة وكأن ذائقة الشاعر الجاهلي أدرك ان الجمال الخارجي والداخلي أحدهما يكمل الآخر ويوازيه في الأهمية . وعنترة الفارس يوظف أدوات المعركة والقتال في تجسيد الأنوثة (حسام، سيف) والتي هي لازمة من لوازم الفروسية، فأصبحت الأنوثة رمزا للجمال الالهي المقدس.

وتمثلت الأنوثة بشكل يعكس ضعفها وحاجتها الى معيل وسند وتمثل هذا النموذج في المرأة العاذلة/اللائمة التي تحاول أن تثني من عزيمة الفارس وهي الصيغة الأكثر مُلاءمة لتجاربهم والأكثر قُدرة على تهيئة أرضية نفسية مُنفتحة تتقبّل ما يُريدون طرحه من قيم البطولة أو الكرم ، فضلاً عن كون المرأة النقيض لما آمن به الشعراء الفرسان والأجواد لما في طبيعتها من حرص على ضمان مُستقبل الأُسرة وأمنها فيعمد الشاعر الفارس أو الجواد إلى أسلوب الحوار مع اللائمة ليقرّر من خلاله ما يؤمن به من قيم البطولة والجود ويُبرز صفاته ويفخر بما فيه ويرسم معالم شخصيته (فيدوح،١٩٩٢م،٦٤-٦٥)، ففي خطاب اللائمة تتجسد الأنوثة في اللوم والعتاب والشكوى والملاحاة وأحيانا الطرْف الدامع أساليبا

للتأثير في الشاعر، فكانت الأنوثة الضعيفة هنا وسيلة الشاعر لإظهار فلسفته الخاصة ورؤيته الوجودية ، فهذا قيس بن الخطيم يظهر فلسفته في الحياة أنه يطمح الى تحقيق الخلود المعنوي بالكرم والانفاق ولا يبقي شيئا لزوجه وعياله فالمال يذهب ولا يعود:(الأسد، د.ت،١٨١)

تقولُ ظعينتي لمّا إستقلّت أتترك ما صنعت صريم سحر

فقلتُ لها : ذريني إنّ مالي يروح إذا غلبتُهُم و يســـري

فهذه الأنوثة الضعيفة الرادعة للشاعر تجعل لها منزلة الحكيم العاقل والخبير المدبر، المشفقة والحريصة عليه وهذه ايضا تعد منزلة ومكانة للمرأة التي يثبت من خلالها هاجس الخلود بوساطة القيم الاخلاقية النبيلة والمعاني السامية التي ألفها المجتمع.

وكانت هذه الأنوثة الضعيفة المعاتبة وسيلة الصعلوك لخلق عالم افتراضي يمارس من خلاله صعلكته وفق مبادئه الخاصة ورؤيته متجاوزا عالم الواقع القائم على منظومة الأعراف والعادات الاجتماعية السائدة، ويظهر بصورة يعكس قيمته الاجتماعية لدى المرأة وحاجتها إليه، وكأن صوت الأنثى هو صوت المجتمع الرادع والمقيّد له لذا نجده دائم التوق الى التفلت والتحرر منه والانطلاق نحو مبادئه، يعكس من خلالها القلق الوجودي تجاه قضية انسانية تخص الجماعة لا الفرد ، فتكون صوت الأنثى نسقا شعريا وفضاء لتفريغ طاقاته التعبيرية والانفعالية وبيان وجهة نظره المخالفة لرؤية الأنثى، إذ يجد من خلالها ضالته لحشد المواقف وتصوير صراعه الداخلي ، فهذا عروة بن الورد يقول: (محمد ،١٩٨٨م،٦٧)

أَقِلّي عَلَيَّ اللَـومَ يا بِنت مُنـذِرٍ وَنامي وَإِن لَم تَشتَهي النَومَ فَاسهَري

ذَريني وَنَفسي أُمَّ حَسّانَ إِنَّني بِها قَبلَ أَن لا أَملِـكَ البَيعَ مُشــتَرَي

أَحاديثَ تَبقى وَالفَتى غَيرُ خالِدِ إِذا هُـوَ أَمســى هامَةً فَــوقَ صُيَّرِ

تُجاوِبُ أَحجارَ الكِناسِ وَتَشتَكي إِلــى كُلِّ مَعــــروفٍ رَأَتــــهُ وَمُنكَــر

ذَريني أُطَوِّف في البِلادِ لَعَلَّنــي أُخَلّيكِ أَو أُغنيكِ عَن سوءِ مَحضِـري

فَإِن فازَ سَهمٌ لِلمَنِيَّةِ لَـم أَكُــن جَزوعــاً وَهَـل عَن ذاكَ مِـن مُتَأَخِّرِ

وَإِن فازَ سَهمي كَفَّكُم عَن مَقاعِدٍ لَكُم خَلــفَ أَدبارِ البُيوتِ وَمُنــظَرِ

فالأنثى هنا لم تظهر بصفاتها الجسدية وانما نستشف الأنوثة الضعيفة التي تظهر حاجتها للرجل وهي تلومه على أسفاره فالأنوثة هنا تُميط اللثام عن نفسيتها الميّالة للاستقرار، وتبتغي المحافظة عليه من الأهوال والمخاطر، والأنوثة تجسدت من خلال دلالات طقسية صادرة عن اللاوعي الجمعي إذ يظهر الشاعر لها الاحترام والتقدير تارة يكنيها (بنت منذر) وتارة بـ(أُم حسان) فالأمومة تعني الخصوبة والواهبة للحياة، و(أم حسان) اسم يرمز لسيدة الحكمة، ولا تُخاطب عادة إلا في الأمر الجلل الذي يحتاج الى التوّدة وسعة الصدر(عبد الرحمن،١٩٨٢م،١٥٠) وعلى الرغم من ذلك الشاعر يتجاوز صوت سيدة الحكمة(أم حسان) وتكون وسيلة لتحقيق الشاعر ذاته ويكون فاعلا ومؤثرا قادر على تحقيق الحياة الاجتماعية الرغيدة والصمود أمام المهالك وحسان اسم يجسد فعل العطاء الذي يتوق الشاعر لتحقيقه، وهذه الأنوثة المترددة والمتخوفة المثبطة لهمته يتخذها الشاعر مسوغا لفعله البطولي الصعلوكي. وما

تكرار الفعل (ذريني) إلا تجسيد لرغبة الشاعر لخرق أطر القبيلة في السلب فصوت الأنثى حافز لاقتراف الخطيئة التي هي شكل من أشكال الحرية(أدونيس،١٩٨٩م،٩٠)، فالأنوثة الضعيفة بصوتها المضاد تعطيه شعورا بالانتهاء أي التراجع عن قضيته لكنه يريد أن يبدأ و يؤسس، لكن الأنوثة هذه تغذي تمرده إلى تحقيق الحضور فمن خلالها يطرح قضية اجتماعية أخلاقية هادفة إلى إحداث التغيير لهذا فهو يتجاوزها لأن المرأة بعد مرآتي للواقع الذي يرفض الخضوع له. فهذه الصورة للأنوثة والتي غابت عنها الملامح الجسدية تضمر نصا خفيا يشير إلى أن الشاعر في لا وعيه منسجم مع المقاييس القبلية الاجتماعية ومع تربية القبيلة القمعية والتي وضعت أمام أفرادها(تابو) أو محرمات لا يُسمح لهم باختراقها . فبلاغة المؤسسة القبلية بلاغة أخلاق وكان الشاعر ممتثلا بأخلاقها فحريته غير مكتملة وإن كان يدّعيها.

في شعر الصعاليك لم تكن الأنوثة موضوعًا شعريًا يُحتفى بجمالها فحسب، بل كانت رمزًا للشجاعة والقوة والصمود. الصعاليك الذين عاشوا حياة الترحال والمغامرة بعيدًا عن حياة القبيلة المستقرة، كانوا ينظرون إلى المرأة ليس فقط كحبيبة أو زوجة، بل بوصفها شريكة له في الكفاح من أجل البقاء. وهذه الأنوثة الضعيفة نجد لها صورة مضادة قائمة على التحريض والحث على السلب والكفاح من أجل البقاء والخروج للغزو والحصول على الغنائم ، نجد هذا الصوت في شعر أبي خراش الهذلي: (السكري،١٩٦٥م، ١٥٣/٢)

فَإِن تَزعُمي أَنّي جَبُنتُ فَإِنَّني ... أَفِرُّ وَأَرمـــــي مَـــرَّةً كُلَّ ذلِـــكِ
أُقاتِلُ حَتّى لا أَرى لي مُقاتِلاً ... وَأَنجو إِذا ما خِفتُ بَعضَ المَهالِكِ

فهي تلومه على جبنه واحجامه عن البطولة ، إذ تحثه على الصعلكة وتظهر أنها رفيقة رغباته ومتوافقة معه وكأن صوت الانثى هنا صدى لصوت الشاعر الداخلي المحرض على البطولة، فالأنوثة على الرغم من ضعفها أصبحت الفاعل المؤثر في الشاعر.

وتتجسد الأنوثة الضعيفة أيضا بالمرأة السبيّة التي تقع في الأسر بعد الحروب و الغارات فيصورها الشاعر فزعة مغنومة مهانة ترتجف خوفا تتمزق حزنا وولها على قومها وتنسى من هول ما أصابها طفلها الرضيع تترقب المصير المجهول من أعدائها ، وجسد النابغة هذه الصورة بقوله: (ابراهيم، د.ت، ٧٦)

يَنظُرنَ شَزراً إِلى مَن جاءَ عَن عُرُضٍ ... بِأَوجُـهٍ مُـنكِراتِ الرِقِّ أَحـــــرارِ
خَلفَ العَضاريـطِ لا يوقَينَ فاحِـشَـةً ... مُـستَمسِـكاتٍ بِأَقتابٍ وَأَكـــوارِ
يُذرينَ دَمعـاً عَلى الأَشفارِ مُنحَـــدِراً ... يَأمُـلـنَ رِحلَـةَ حِصـنٍ وَابنِ سَـيّارِ

فالنابغة يجسد المرأة في قمة ضعفها وهن يترقبن دخولهن في دائرة العبودية يذرفن الدموع التي تدل على الخوف وترقب الموت والقلق، باحثات عمّن ينقذهن، فهن حرائر منعّمات وأملهن أن يتقدم سادة ذبيان حصن بن حذيفة وابن سيار لفك أسرهن. فكانت الأنوثة هذه وسيلة للفخر بأسياد القبيلة ، وأيضا وسيلة للهجوم على الخصم والتغني بقوة أقوامهم في الحروب، وهذا ما فعله بشر بن أبي خازم الأسدي بقوله:

(حسن،١٩٧٠م، ١٩)

بَني عـامِرٍ إنّا تَرَكـنـا نِـساءَكُم ... مِنَ الشَلِّ وَالإيجافِ تَدمى عُجوبُها
عَضاريطُنا مُستَبطِنو البيضِ كَالدُمى ... مُضَرَّجَـةً بِالـزَعفَرانِ جُـيـوبُـها
تَبيتُ النِساءُ المُرضِعـاتُ بِـرَهوَةٍ ... تَفَـزَّعُ مِـن خَـوفِ الجـنانِ قُلوبُـها
دَعوا مَنبِتَ السيفَـينِ إنَّـهُـما لَنـا ... إذا مُضَـرُ الحَمراءُ شُبَّت حُروبُـها

لذلك حرصوا على النساء من الوقوع في أيدي الخصم وكذلك يفخرون بسبي نساء أعدائهم، صورة منتهى السخرية من الخصم انتهكوا حرمة النساء الحرائر واهانوهن، نساء جميلات معطرات مزينات بأبهى حلّة نساء كأنهن دمى واصبحن خدما لقوم الشاعر، ويظهر عجز قوم العدو عن حمايتهن فهناك نساء مرضعات هربن خلف المرتفعات والخوف يملأ قلوبهن ، فكانت الأنوثة هنا وسيلة لإعلاء شأن القبيلة من خلال الابتعاد عن الذاتية والفردية والتكلم بضمير الجماعة المتمثل بـ(نا الجماعة) والحط والسخرية من الخصم. ونلاحظ أن الشاعر حافظ على مقاييس الأنوثة ومعايير الجمال الخارجية للمرأة في الذائقة الاجتماعية (بيض كالدمى، مضرجة بالزعفران) فجاءت بصورة الدمية المقدسة وهو بذلك يمثل القيم الأساسية حتى وان كانت المرأة في أوهن حالاتها، إذ حرصوا على تقديمها ببراعة فنية حاضرة في ذاكرته الثقافية والدينية وبذلك يترامى في ذهن المتلقي الجذور الدينية التي انحدرت منها صورة الأنوثة وتضافر الخيالي والواقعي في تمثيلها.

أما ما يخص الأنوثة وتجسيدها في شعر شاعرات العصر الجاهلي إذ لا نجد شاعرة تمكنت من تجسيد أنوثتها في شعرها، فالنسق الفحولي هو أبرز الأنساق حضورا وهيمنة في المجتمع القبلي ، فضلا عن ذلك ثمة علامات كثيرة تشير إلى مساعٍ حثيثة لحجب الأنوثة عن الشعر ومنع التأنيث من أن يلامس الخطاب الشعري، فالشعر الجاهلي كاد أن يخلو من إسهام حقيقي للمرأة، إذ كيف يُعقل أن خمسة عشر قرنا لم ينتج سوى بضع شاعرات لاسيما أننا ندور في فلك بيئة شفاهية يتساوى فيها الناس مع لسانهم اللغوي، ولايحتاج الشعر في هذه البيئة إلى دخول المدارس وتعلم الصنعة يتساوى في ذلك الرجل و المرأة ، فامرؤ القيس وفحول الجاهلية يتساوون مع أي امرأة في زمانهم من حيث التعلم أو عدمه، وثقافة الجميع متماثلة ..، وهذا ما يدفعنا إلى توجيه الاتهام إلى الرواة والمدونين ويضم ذلك ذوي النساء من رجال الأسرة و العشيرة و الحي الذين هم حراس الثقافة وعمود الفحولة(الغذامي،١٩٩٩م،٨٣) وإذا عدنا إلى المصادر التي أحصت شاعرات العرب نجد فقط مئتين وأربعا وأربعين شاعرة لم يصلنا من شعرهن سوى مقطعات أو أبيات قليلة، مما جعل الباحثين يتجهون نحو حجب الرواة لأشعارهن(صقر، ١٩٦٧م، ١٨) وكأن المرأة بقولها الشعر خروج عن معايير فحولة المجتمع وتشويه لذائقته الثقافية، والمرأة في شعرها تتنكر لصوتها أنوثتها لتنال رضى المؤسسة الاجتماعية وأن تتفحَّل أو تسترجل في أشعارها أي تعيد إنتاج الفحولة وأن تظهر بصوتٍ تفخر بأمجاد الفحول من رجال القبيلة أو تنهض بدور المحرّض للهجوم والغارة، مثلما نجد في قول مارية بنت الديان التي تحرض قومها على القتال: (يموت، ١٩٣٤م، ٤١):

قل للفوارس لا تئل أعيانهم من شرّ ما حذروا وما لمُ يحذر
التاركينَ أبا الحُصين وراءَهم والمُسلمينَ صلاءَة بن العنبر

.....

يا معشرَ الأبناءِ إنْ فزتم بها فوز الزَّبيرة جمعُنا لمُ يثأرِ
فأبوكم قرم سرى بهلانكم وعمُودُكم صُلْبٌ كريمُ المكْسرِ

إذ لم يعرف الشعر الجاهلي صوتا أنثويا صادحا بأنوثتها سوى الفخر والمراثي والبكاء والعويل على موت أحد الفحول من أبٍ أو أخٍ أو زوج والذي يعكس مظهرا لضعفها الأنثوي، لأن البكاء أحد لوازم الأنوثة وكأنها تطلب رضا المؤسسة الاجتماعية فكينونتها منصهرة ومندمجة معها ، فالخنساء خصت شعرها وصوتها الأنثوي لرثاء صخر والتي بالغت في ذرف الدموع وإظهار الحزن، إذ تقول(أبو سويلم، ١٩٨٨م، ١٧٧)

أَلا يا عَينِ فَانهَمِري بِغُدرِ وَفيضي فَيضَةً مِن غَيرِ نَزرِ
وَلا تَعِدي عَزاءً بَعدَ صَخرٍ فَقَد غُلِبَ العَزاءُ وَعيلَ صَبري

فقصائدها يسير على هذا النسج من العويل والبكاء والمعاناة والتفجع على صخر/ الفحل مما يعكس التزامها بالأعراف الاجتماعية التي تجعل البكاء و التفجع وظيفة تناسب المرأة ولائقا بها وأصبح الحرفة عندهن. فأخذت الأنوثة مركزا هامشيا في المجتمع وخاضعة لاشتراطات المجتمع الذكوري لإبقائها داخل أطرها وحدودها الاجتماعية.

الخاتمة والمقترحات:

١. الشعر الجاهلي كان يميل إلى تجسيد المرأة بشكل مثالي، إذ ارتبطت الأنوثة بمفاهيم الجمال والكمال الطبيعي. الشعراء استخدموا تشبيهات واستعارات مجازية لوصف المرأة كالبدر والشمس، مما يعكس رغبة في إبراز الجمال الخارجي للمرأة على حساب تعبيرات أعمق لشخصيتها أو دورها الاجتماعي.
٢. تجسدت الأنوثة في الشعر الجاهلي من خلال الصفات النفسية والاجتماعية والجسدية التي ترتبط بشكل تقليدي بالمرأة، وتضم تلك السمات التي تعدها الثقافة أو المجتمع جزءاً من الهوية الأنثوية.
٣. كشف البحث أن المرأة في الشعر الجاهلي غالباً ما كانت تُصور كرمز للقبيلة والشرف الجماعي، وهو ما يعكس أهمية دورها في تعزيز الهوية القبلية. هذا التجسيد وعلى الرغم من أنه كان يُظهر مكانة المرأة في المجتمع الجاهلي، إلا أنه كان يحصرها في أدوار تقليدية، محددة ومرتبطة بشرف القبيلة ومكانتها الاجتماعية.
٤. أظهر البحث وجود ازدواجية في تجسيد الأنوثة في الشعر الجاهلي، إذ تم تجسيد المرأة أحيانًا ككائن رقيق وناعم، وأحيانًا أخرى كرمز للقوة والشجاعة. لاسيما في شعر الصعاليك، وهذه الازدواجية تعكس التوترات الاجتماعية في المجتمع الجاهلي، إذ كان يُتوقع من المرأة أن تجمع بين الصفات المتناقضة، مثل الرقة والقوة.

٥. وجد البحث أن المعتقدات الدينية والميثولوجية السائدة في الجاهلية كان لها تأثير كبير في تجسيد الأنوثة. فالمرأة في بعض النصوص كانت تُصور ككائن شبه إلهي أو ميتافيزيقي، مما أضفى على دورها نوعاً من القدسية المرتبطة بمفاهيم دينية ومعتقدات أسطورية.

٦. الأنوثة الضعيفة كانت وسيلة الشاعر لتأسيس وجوده في المجتمع وبوابة للإنعتاق والحرية والانطلاق نحو المستقبل لاسيما في صورة العاذلة التي جسدت الأنوثة المثبّطة والخائفة والسلبية إذ كانت بفعلها تشكل بعدا مرآتيا للواقع يحتم على الشاعر تجاوزه.

٧. في النص الصعلوكي كان الشاعر في تصويره للأنوثة ملتزما بأطر المؤسسة الاجتماعية القبلية إذ لم تظهر الانوثة بشكلها المحسوس بمفاتنها وإنما كان الشاعر يمثلها بصورة معنوية نفسية دون الخروج الى المحرم فهو منسجم مع تربية المؤسسة القبلية القمعية القائمة في لا وعيه.

٨. خلص البحث إلى أن المنجز الجاهلي لم تتمثل لأدوار المرأة في المجتمع سواء كانت كانت الاجتماعية أو السياسية أو دينية إذ كان حضورها حضور رمزي وإشاري اقتصر على الجانب المثالي والحسي منها.

٩. غياب الأنوثة من شعر شاعرات العصر الجاهلي وبقائهن داخل الأطر الاجتماعية التي تحول دون التعبير عن أنوثتهن وعواطفهن سوى بكاء الفحول.

١٠. مما نقترحه في هذا المقام أن يسلط الباحثون الضوء على موضوع الأنوثة ، ودراسته دراسات مقارنة مع غيره من العصور، أو مع ثقافات أخرى غير العربية ، وملاحظة مدى التطور الحاصل في المفاهيم ، وربط ذلك كله بالمنهج التاريخي ، والدراسة الاجتماعية الأنثروبولوجية .

Sources and references

1- Women's Figures in the Arab and Islamic Worlds, Omar Reda Al-Kahala, Al-Risala Foundation for Publishing and Distribution, Beirut, 1st ed., 1940.
2- Anthropology of Literature: Studying Literary Effects in Light of Anthropology, Dr. Qusay Al-Hussein, Dar Al-Bahar, Beirut, 1st ed., 2009.
3- Environments of Pre-Islamic Poetry, Dr. Hussein Atwan, Dar Al-Jabal, Beirut, 1st ed., 1993.
4- History of Al-Yaqubi, Ahmad bin Abu Yaqub known as Al-Yaqubi, Investigation: Abdul Amir Mahna, Al-Ala Company for Publications, Beirut, 1st ed., 2010.
6- The Political Harem of the Prophet and Women, Fatima Mernissi, translated by: Abdul Hadi Abbas, Al-Hasad Publishing House, Damascus, 2nd ed., 1993.
7- Arab Life from Pre-Islamic Poetry, Ahmed Mohammed Al-Hawfi, Nahdet Library, Egypt, 2nd ed., 1952.
8- Critical Studies in Arabic Poetry, Abdul Qader Faydouh, Publications of the Arab Writers Union, Damascus, 1st ed., 1992.
9- Diwan Al-A'sha Al-Kabir (Maymun bin Qais), edited by: Muhammad Muhammad Hussein, Library of Literature in Al-Jamamiz, Model Press, no date, 1950.
10- Diwan Imru' Al-Qais, edited by: Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, Dar Al-Maarif, Egypt, 5th edition, 1969.
11- Diwan Bishr bin Abi Khazim Al-Asadi, edited by: Izzat Hassan, Ministry of Culture, Damascus, no date, 1970.
12- Diwan Al-Khansa, explained by: Tha'lab, edited by: Dr. Anwar Abu Suwailem, Dar Ammar for Publishing and Distribution, Jordan, 1st edition, 1988.
13- Diwan of Amer bin Tufail, investigation, Dr. Mahmoud Abdullah Al-Jader and others, Dar Al-Shu'un Al-Thaqafiyah, Baghdad, 1st ed., 2001.
14- Diwan of Urwa bin Al-Ward, Prince of the Vagabonds, investigation: Asmaa Abu Bakr Muhammad, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, no date, 1988.
15- Diwan of Antarah, investigation: Khalil Al-Khoury, University Library, Beirut, no date, 1893.
16- Diwan of Qais bin Al-Khatim, investigation: Nasser Al-Din Al-Assad, Dar Sadir, Beirut, no date, no date.
17- Diwan Al-Nabigha Al-Dhubyani, edited by: Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, Dar Al-Maaref, Cairo, 2nd ed., n.d.
18- Arab Poets in the Pre-Islamic and Islamic Eras, Bashir Yumut, Al-Ahliya Library, Beirut, 1st ed., 1934.
19- The Young Pre-Islamic Poet Tarafa Bin Al-Abd, an Investigation and Study of His Poetry and Personality, Dr. Ali Al-Jundi, Dar Al-Fikr Al-Arabi, (n.d.), (n.d.)
20- Explanation of the Poetry of the Hudhaylites, Abu Saeed Al-Sakri, edited by: Abdul Sattar Ahmed Farraj, reviewed by: Mahmoud Shaker, Al-Uruba Library, Egypt, n.d., 1965.
21- Poets and Poetry Recitation, Dr. Ali Al-Jundi, Dar Al-Maaref, Egypt, 1st ed., 1969.
22- Pre-Islamic Poetry, Its Characteristics and Arts, Yahya Al-Jabouri, Al-Risala Foundation, Beirut, 5th ed., 1986.

23- Pre-Islamic Poetry, Its Artistic and Objective Issues, Dr. Ibrahim Abdel Rahman, Egyptian International Publishing Company, 1st ed., 2000.
24- The Artistic Image in Pre-Islamic Poetry in the Light of Modern Criticism, Dr. Nasrat Abdel Rahman, Al-Aqsa Library, Amman, 2nd ed., 1982.
25- Uyun al-Akhbar, Ibn Qutaybah al-Dinawari, edited by: Dr. Yousef Ali Tawil, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, 1st ed., 1986.
26- The Story of Civilization, Will Durant, translated by: Dr. Zaki Najib Mahmoud, Authorship and Publication Committee, Cairo, n.d., n.d.
27- Kalam al-Bidayat, Adonis, Dar al-Adab, Beirut, 1st ed., 1989.
28- Lisan al-Arab, Ibn Manzur, Dar Sadir for Printing and Publishing, Beirut, n.d., n.d.
29- Women and Language, Abdullah al-Ghadami, Arab Cultural Center, Casablanca, Morocco, Beirut, Lebanon, 3rd ed., 2006.
30- Al-Munjid in Contemporary Arabic Language, a group of authors, Dar Al-Mashreq, Beirut, 1st ed., 2000.
31- Feminism and Post-Feminism, Studies and Critical Dictionary, Sarah Gamble, translated by: Ahmed Al-Shami, Supreme Council of Culture, 1st ed., n.d.
32- Identity and Difference in the Feminist Novel in the Maghreb, Saida Ben Bouza, PhD Thesis, University of Batna, 2008.
٣٣- Al-Assad: Dr. Nasser Al-Din, Sources of Pre-Islamic Poetry and Their Historical Value, Dar Al-Maaref, Cairo, 5th edition, 1978.
34- Women and Language, Abdullah Al-Ghadami, Arab Cultural Center, Casablanca, Morocco, Beirut, Lebanon, 3rd ed., 2006.

35- almuejam alfalsafiu , jamil saliba , dar alkitab allubnanii , bayrut , ta1 , 1982 .
٣٦- Al-Munjid in Contemporary Arabic Language, a group of authors, Dar Al-Mashreq, Beirut, 1st ed., 2000.
٣٧- Feminism and Post-Feminism, Studies and a Critical Dictionary, Sarah Gamble, translated by: Ahmed Al-Shami, Supreme Council for Culture, 1st ed., n.d.
٣٨- Identity and Difference in the Feminist Novel in the Maghreb, Saida Ben Bouza, PhD Thesis, University of Batna, 2008. - 38- Al-Assad: Dr. Nasser Al-Din, Sources of Pre-Islamic Poetry and Their Historical Value, Dar Al-Maaref, Cairo, Fifth Edition, 1978.